

الأستاذة وهيبة بن حدو من جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان-الجزائر  
أستاذة مساعدة قسم "أ"

## عنوان المداخلة: البلاغة العربية بين التأصيل والتجديد

لقد عني القدماء عناية فائقة بالبلاغة العربية خاصة بعد نزول القرآن الكريم، فرغبة علماء العربية في تفهمه " دفعتهم إلى البحث في بلاغته، وقد أدى هذا الاتجاه في العصور الأولى إلى ظهور العديد من الكتب التي تبحث في معاني القرآن ومشكله ومجازه ونظمه وإعجازه<sup>(1)</sup> (في تاريخ البلاغة العربية، عبد العزيز عتيق [د.ت.]). منها مجاز القرآن لأبي عبيدة ومعاني القرآن للفراء.

وظلت البلاغة متصلة بالقرآن لإضافة إلى ظهور مجالس أدبية تشبه مجالس الجاهلية، كما كانت هناك الأسواق العامة التي هي بمثابة منتديات أدبية، وظهرت مساجد البصرة والكوفة التي كانت ميدانا لنشاط علماء العربية من كل علم وفن، وبرز الكتاب المنشئون وتنافسوا في الإبداع والابتكار في أساليب البيان نذكر منهم عبد الحميد بن يحيى الكاتب وأبا العلاء سالم، وعبد الله بن المقفع، وسهل بن هارون، ومحمد بن عبد الملك بن الزيات وغيرهم. كما عني المتكلمون بدراسة القرآن والسنة واشتهر علماءهم بالخطابة والبلاغة وكانت صلتهم بالبحوث اللغوية والبلاغة وثيقة، وصحيفة بشر بن المعتمر في البلاغة مشهورة حاول أن يوضح فيها معالم وأسس صناعة البيان<sup>(2)</sup> (ينظر أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين 1418هـ/1998م).

كل هذا كان البذرة الأولى لنشأة البلاغة وتطورها، وأعطت هذه البذور نباتا طيبا تمثل في:

- كتاب البيان والتبيين للجاحظ (ت255هـ) الذي تعرض فيه لموضوعات البيان والفصاحة والبلاغة، ولم يكن لأحد من هذه الألفاظ مدلول خاص يميز كلا منهما عن الآخر، وعرف البلاغة عند الأمم المختلفة من فرس ويونان وهنود<sup>(3)</sup> (ينظر: البيان والتبيين)، وتعرض الكثير من فنون البلاغة، وعرضها عرضا رائعا يمتاز بالجمع بين التوضيح النظري والنموذج التطبيقي، غير أن هذه القضايا لا تنال إلا بالتأمل الطويل في مؤلفه.

- وفي كتابه الحيوان وقات أخرى في الحقيقة والمجاز والتشبيه والاستعارة لا تقل روعة وذكاء عن وقاته في

البيان والتبيين<sup>(4)</sup> (ينظر أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، الحيوان1965م/1384هـ).

والواقع أن الجاحظ لم يختر في كتابته أسلوب التعريف والتحديد، وفي ذلك يقول شوقي ضيف، "إن الجاحظ قد ألم في كتاباته الصور البيانية المختلفة، وبكثير من فنون البديع، غير أنه لم يسق ذلك في تعريفات وتحديدات، فقد كان مشغولا بإيراد النماذج البلاغة، وقلما عني بتوضيح دلالة المثال على القاعدة البلاغية التي يقررها"<sup>(5)</sup> (شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، 1965م).

- كتاب "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة (ت 276هـ)، فهذا الكتاب أولى بالبلاغة عناية كبيرة وإن كان صاحبه قد ألفه أصلا للرد على الطاعنين في بلاغة القرآن.

وقد تحدث ابن قتيبة في هذا الكتاب عن كثير من فنون البلاغة وعقد لها أبوابا هي القول في المجاز، والاستعارة، والمقلوب، والحذف والاختصار، وتكرار الكلام والزيادة فيه، والكناية والتعريض ومخالفة ظاهر اللفظ معناه؛ ولا نجد في الكتب المتقدمة هذا المنهج في دراسة البلاغة<sup>6</sup> (ينظر ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن [د.ت]).

- كتاب الكامل لمحمد بن يزيد المبرد (ت285هـ) الذي قال عنه ابن خلدون في مقدمته: "وسمنا من شيوينا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها"<sup>(7)</sup> (ابن خلدون، المقدمة، 1426هـ/2005م).

وكتاب "الكامل" وإن كان كتاب لغة "يعنى في المحل الأول بتفسير ما يقع فيه من لفظ غريب أو معنى مبهم، فإنه تتخلله ملاحظات بلاغية كثيرة، إذ لا يفوته وهو يشرح النصوص الشعرية والنثرية شرحا لغويا أن يشير أحيانا إلى ما في بعضها من إيجاز أو إطناب، أو تقديم أو تأخير، أو استعارة، أو التفات، أو مجاز لغوي"<sup>(8)</sup> (عبد العزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية).

وقد خصص المبرد فيه بابا مستقلا للتشبيه"<sup>(9)</sup> (أبو العباس، المبرد الكامل [د.ت])، كما تحدث فيه عن الكناية وأنواعها"<sup>(10)</sup> (أبو العباس المبرد، الكامل)، وتعرض لقضايا أخرى بلاغية كالتعقيد اللفظي، والمجاز العقلي، ولاحظ تنوع المعاني بتنوع أضرب الخبر، فقد اتخذ علما، البلاغة من إجابة المبرد على سؤال الكندي الفيلسوف أساسا لمبحث في علم المعاني سموه أضرب الخبر"<sup>(11)</sup> (ينظر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، 1422هـ/2001م).

- كتاب "علم البديع" لابن المعتز (ت296هـ) الذي يعتبر المحاولة الأولى في سبيل استقلال هذا العلم البلاغي وتحديد مباحثه التي كانت قبل مختلطة بمباحث علم المعاني وعلم البيان.

ويعتز ابن المعتز بسبقه إلى التأليف البلاغة فيقول: "و ما جمع فنون البديع ولا سبقني إليه أحد"<sup>(12)</sup>

(عبد الله بن المعتز، علم البديع، 1399هـ/1979م).

والبديع عن ابن المعتز يشمل خمسة فنون هي: الاستعارة والتجنيس والمطابقة ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها والمذهب الكلام، ثم ذكر بعدها ثلاثة عشر فنا وكان يستشهد على كل فن بالقرآن الكريم والحديث النبوي وأشعار الشعراء.

و كتاب البديع "هو أول محاول جدية في وضع اصطلاحات وألقاب لوجوه الحسن في الكلام ما أسرع ما بني عليه من بعده قواعد هذا العلم وشادوا من بنيانه"<sup>(13)</sup> (السيد أحمد خليل، المدخل إلى دراسة البلاغة العربية، 1968).

- كتاب "النكت في إعجاز القرآن" لعلي بن عيسى الرماني (ت 384هـ) الذي قسم فيه البلاغة إلى ثلاث طبقات: عليا هي بلاغة القرآن، والوسطى والدينا بلاغة البلغاء على تفاوت فيها<sup>(14)</sup> (ينظر علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، 1376هـ/1956م).

وعرض لأقسام البلاغة فذكر أنها عشرة هي: "الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمنين، والمبالغة، وحسن البيان"، ثم عرف كل قسم منها بالتوضيح بالأمثلة. وبهذا تمثلت مساهمة الرماني في البلاغة أنه حدد بعض فنونها تحديدا نهائيا.

- كتاب "الصناعتين؛ الكتابة والشعر" للحسن بن عبد الله بن سهل المعروف بأبي هلال العسكري (ت 395هـ) والذي استهله بمقدمة أشاد فيها بفضل علم البلاغة حيث قال: "واعلم-علمك اله الخير وذلك عليه، وقيضه لك وجعلك من أهله- أن أحق العلوم بالتعلم وأولها بالتحفظ- بعد المعرفة بالله جل ثناؤه- علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى<sup>(15)</sup> (أبو هلال العسكري، الصناعتين، 1320هـ).

وفي المقدمة يشير أبو هلال إلى أسباب تأليفه هذا الكتاب فيقول: "...فرايت أن أعمل كتابي هذا مشتملا على ميع ما يحتاج إليه في صنعة الكلام نثره ونظمه، ويستعمل في محلوله ومعقوده، من غير تقصير وإخلال وإسهاب وإهذار.."<sup>(16)</sup> (أبو هلال العسكري، الصناعتين، 1320هـ).

وهذا الكتاب ضم عشرة أبوابك باب في البلاغة والفصاحة، وباب في تمييز الكلام جيده وردئه، وباب في معرفة صنع الكلام وترتيب الألفاظ، وباب عن حسن النظام وجودة الرصف، وباب في ذكر الإيجاز والإطناب، وباب في حسن الأخذ وحل المنظوم، وباب في التشبيه وباب في ذكر الأسجاع والازدواج، وباب في شرح البديع، وباب في ذكر مبادئ الكلام ومقاطععه.

- كتاب "إعجاز القرآن" لأبي بكر محمد بن الطيب المعروف بالقاضي الباقلاني (ت 403هـ) ساهم فيه صاحبه في تطوير المباحث البلاغية وذلك للصلة الوثيقة بين البلاغة والإعجاز فقد تحدث عن السجع في القرآن، وذكر وجوه البديع حيث بلغت عنده ثلاثين فنا<sup>(17)</sup> (ينظر الباقلاني، إعجاز القرآن، 1421 هـ/2001م).

والملاحظ على فنون البديع التي خصها بالكر أنها صارت فيما بعد من مباحث علم البيان كالاستعارة، والتشبيه، والكناية والتعريض، والمماثلة... وبعض الأساليب صارت من مباحث علم المعاني كالمساواة والإشارة، والإيجاز.

وقد عقد فصلا في وصف وجوه البلاغة "التي أخذها عن الرماني ووضحها توضيحا يدل على فهم للبلاغة وأسرارها"<sup>(18)</sup> (ينظر الباقلاني، إعجاز القرآن).

- كتاب سر الفصاحة لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (ت 466هـ) الذي بين فيه الفرق بين البلاغة والفصاحة، فقصر الفصاحة على الألفاظ وجعل البلاغة عامة تشمل الألفاظ والمعاني،

وتحدث عن "أصول تأليف الكلام"، وذكر أن أصل عنده يتمثل في "وضع الألفاظ في موضعها حقيقة كانت أو مجازاً". أما الأصل الثاني فهو "المناسبة بين الألفاظ إما عن طريق الصيغة وإما عن طريق المعنى". - والخفاجي عالِم فنون البديع وأساليب البيان والبلاغة في ثنايا كلامه عن "سر الفصاحة" الذي يتمثل عنده في حسن اللفظ وحسن المعنى<sup>19</sup> (ينظر ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، 1427هـ - 2002م).

بالإضافة إلى هذه الكتب أذكر كتباً في النقد كان لها إسهاماً وافراً في تطور البلاغة العربية منها، كتاب عيار الشعر لابن طباطبا (ت 322هـ)، كتاب نقد الشعر لقدامية بن جعفر (ت 337هـ)، كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحثري، لأبي القاسم الحسن بن بشر الأمدي (ت 371هـ)، كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه لأبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت 392هـ)، كتاب العمدة لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت 463هـ). وهذه كتب كثر الحديث فيها عن التشبيه والاستعارة والجناس والطباق، واما يستحسن من هذه الفنون ويستقبح.

لقد تضافرت جهود هؤلاء العلماء جيلاً إثر جيل، وقرناً بعد قرن على بحث قضايا البلاغة والتوسع فيها والنظر إليها من جوانب متعددة دون عناية خاصة بالتنظيم والتبويب.

وظلت صور البيان والمعاني متداخلة يتميز بعضها عن بعض حتى ظهر في القرن الخامس أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت 471هـ) الذي ازدهرت البلاغة العربية على يديه حيث استطاع أن يبلور معظم قضايا البلاغة في مؤلفيه: "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز".

ففي "أسرار البلاغة" جمع عبد القاهر لأول مرة مباحث علم البيان بعضها إلى بعض ورتبها ترتيباً منطقياً منظماً، قال، "واعلم أن الذي يوجب ظاهر الأمر، وما يسبق إليه الفكر أن نبدأ بجملته من القول في الحقيقة والمجاز، ونتبع ذلك القول في التشبيه والتمثيل ثم ننسق ذكر الاستعارة عليهما، ونأتي بها في إثرهما، وذلك لأن المجاز أعم من الاستعارة"<sup>(20)</sup> (عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، 1418هـ/1998م)، أما الكناية فقد استوفى الكلام عنها في كتابه دلائل الإعجاز.

أما في كتابه "دلائل الإعجاز" فقد تعرض للمجاز الحكمي أو المجاز العقلي الذي يعد من ابتكاره، وعده ضرباً جديداً من المجاز.

ولإيمانه بأن مزية "النظم" تكون بمراعاة قواعد النحو، نجده يتعرض لأهمية حروف العطف، وللتقديم والتأخير، والحذف، ويبين قيمة الإيجاز والإطناب والفصل والوصل، والقصر وطرقه والفروق المعنوية بينها، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، وفروق الخبر، ما لكل ذلك من أثر في بلاغة الأسلوب.

فهو بذلك يكون قد وضع في كتابه "أسرار البلاغة" نظرية "علم البيان" وفي كتابه دلائل الإعجاز "نظرية علم المعاني".

وحديثه عن فنون البديع (الجناس، السجع، حسن التعليل، الطباق) جاء في معرض الاستدلال على نظريته القائلة بأن الألفاظ ليست لها مزية ذاتية في الكلام من حيث هي ألفاظ، إنما المزية تأتي دائما من قبل الأساليب أو التراكيب وصور نظمها وتأليفها.

وعبد القاهر في كل هذا كان يشفع القواعد بالأمثلة والشواهد التي توضحها.

هذه الجهود العظيمة التي بذلها عبد القاهر في الأبحاث البلاغية جعلت صاحب الطراز يذكره في فاتحة كتابه، قال: "إلا أن وفق الله تعالى الإمام مجد الإسلام أبا بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن النحوي الجرجاني تغمده الله برحته وأفاض عليه عيون مغفرته، حتى استخرج أصول هذا العلم وقوانينه ورتب حججه وبراهينه وبالغ في الكشف عن حقائقه والفحص عن لطائفه ودقائقه وصنف في ذلك كتابين لقب أحدهما بـ"دلائل الإعجاز" وثانيهما بـ"أسرار البلاغة" وجمع فيهما من القواعد الغريبة والدقائق العجيبة والوجوه العقلية والشواهد النقلية واللطائف الأدبية والمباحث العربية ما لا يوجد في كلام من قبله من المتقدمين ولم يكيل إليها غيره أخذًا من العلماء الراسخين"<sup>(21)</sup> (فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، 1424هـ/2004م).

ثم جاء بعده الزمخشري (ت 538هـ) الذي درس كتابي عبد القاهر "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز" وتعمق في فهمهما واستيعابهما وأقر في مقدمة كتابه الكشف أن تفسير القرآن لا يكفي فيه أن يكون المفسر من أئمة الفقه أو النحو أو اللغة، أو علم الكلام أو القصص والأخبار، وإنما ينبغي فيمن يتصدى له أن يكون بارعا في علمين مختصين بالقرآن هما: علم المعاني وعلم البيان"<sup>(22)</sup> ( ينظر الزمخشري، مقدمة الكشف [د.ت]).

ولقد طبق الزمخشري آراء عبد القاهر في تفسيره للقرآن تطبيقا مستقويا بالأمثلة والشواهد، ووصل هذا التطبيق بكثير من آرائه التي تدل على تعمقه وفطنته في تصوير الدلالات البلاغية، وإحاطته بخواص العبارات والأساليب، كما أضاف إلى مباحث هذين العاملين ما استكمل به كثيرا من شعبها ودقائقها ومقاييسها. وفي القرن السابع جاء رجال البلاغة وبين أيديهم ثمار الجهود البلاغية لكنهم لم يضيفوا إليها جديدا بل جعلوا أقصى غاياتهم أن يلتزموا ببلاغة عبد القاهر والزمخشري وأن يقصروا نشاطهم الفكري على دراستها وتدريسها جيلا بعد جيل حتى تحولت قواعد جافة عقيمة، من هؤلاء سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي (ت 626هـ) الذي ألف "مفتاح العلوم" وقسمه لثلاثة أقسام رئيسية، خص السكاكي (ت 625هـ) الذي ألف مفتاح العلوم" وقسمه لثلاثة أقسام رئيسية، خص الأول منها بعلم الصرف والاشتقاق بأنواعه، والثاني بعلم النحو، و خص القسم الثالث منه بعلم المعاني وعلم البيان، وأحق بهما مبحثا عن البلاغة والفصاحة، وآخر عن فنون منه بعلم المعاني وعلم البيان، وألحق بهما مبحثا عن البلاغة والفصاحة، وآخر عن فنون البديع اللفظي والمعنوي.

وقد لخص السكاكي في القسم الثالث من الكتاب ما جاء في كتابي عبد القاهر والكشاف الزمخشري حيث كان دقيقا وشاملا إذ قام بضبط وتنظيم المسائل مع ترتيب المقدمات وإحكام القياس، ونهج فيه الطريقة الكلامية الجدلية واستخدم المنطق والفلسفة وعلى يديه تحولت البلاغة إلى عمل طغت في القواعد والقوانين على روح البيان.

ويذكر شوقي ضيف ما حل بالأدب عموما، وخاصة في القرن السادس الهجري وما بعده من نضوب وجمود، ويقول عن البلاغة في خضم ذلك: " وهذه الظاهرة نفسها من التكرار، ومن إجداب العقول من الجمود نجدها تسري بين أصحاب البلاغة بعد عبد القاهر والزمخشري، فإذا هم لا يأتون بجديد في مباحثهم البلاغية.. فالأساتذة يدرسونها لتلاميذهم، ويؤلفون فيها، دون العناية بالنصوص إلا ما يجلبونه من لدن عبد القاهر والزمخشري، ولا تظن أنهم يحتفظون بتحليلاتهما البديعية لنصوص الشعر والنثر، وآي الذكر الحكيم، فقد كان ينقصهم الذوق المرهف والحس الحاد، كما كانت تنقصهم الملكة البصيرة التي تستطيع تحليل النماذج الأدبية، وتبين مواطن الجمال الخفية فيها، بل أيضا المواطن الظاهرة"<sup>(23)</sup> (شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ).

وواضح من حكم شوقي ضيف بأنه يحيل باللائمة على أصحاب المختصرات والشروح الذين عد من أولهم الفخر الرازي (ت 606هـ)، والسكاكي (626هـ) وغيرهم.

ونحن لا نوافق في أنه كان ينقصهم الذوق المرهف والحس الحاد، فلا يمكن أن يخلو من الذوق والحس المرهف من أعجب بكتب عبد القاهر الجرجاني، وفهمها وجعلها نبراسا لكن السر ليس في قلة الذوق ولا الحس المرهف فيهم، بل هو سلطان العصر الذي يعيشونه، ورغبتهم تقديم نموذج في الدرس البلاغي يتواءم مع عصرهم، ونحن نوافق أن هذا المنهج أضر بالبلاغة من ناحية الجور على التحليل الأدبي البديع، وأحسن إلى البلاغة في حفظ وجمع أهم أسسها، وإن كنا نحيد بلا شك الانفكاك عن سلطان القاعدة إلى معالم جمالية عامة مدعومة بشواهد ثرية، ومنزعة من خلال تحليلات بديعة<sup>(24)</sup> (ينظر عويض بن حمودة العطوي، منهج التعامل مع الشاهد البلاغي، 1425هـ).

والواقع أن إدخال السكاكي للمنطق في البحث البلاغي وربطه بين علم الاستدلال وعلم المعاني كان ضرره أكثر من نفعه، ذلك أن العمل البلاغي النقدي يعتمد اعتمادا كبيرا على الذوق، والأذواق تتباين وتختلف، ولا يلزم لهذا العمل التعريف الجامع المانع وإنما يكفي وضع الملامح العامة.

ثم جاء بعده القاضي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني (ت 739هـ) الذي ألف كتاب "التلخيص" حيث لخص فيه القسم الثالث والخاص بالبلاغة من كتاب "مفتاح العلوم للسكاكي" ؛ وفي تلخيصه ترك ما لم يستحسنه وأبقى على ما استحسنه منه واستبعد منه تعقيد السكاكي وحشوه وتطويله كما وضع غامضه بالشرح والأمثلة.

ولم يكتب بذبك بل أضاف إليه، كما يقول: فوائد عشر عليها في كتب المتقدمين وروائد لم يظفر بها في كلام أحد لا بالتصريح ولا بالإشارة، وكل ذلك قد صاغه صياغة حسنة العبارة واضحة الدلالة<sup>(25)</sup> **(ينظر القزويني، مقدمة كتاب التلخيص، 1938م)**، ولعل كل ذلك هو ما هياً له سبيل الشهرة.

ثم رأى أن هذا التلخيص غير واف بالغرض فوضع شرحاً على تلخيصه هو الإيضاح" وهذا الكتاب هو الذي وقفت عنده البلاغة لا تريم ، ولم يكتب لها بعده التطور والتجديد.

وقد نقد الباحث أحمد مطلوب كتابي القزويني<sup>(26)</sup> **(ينظر أحمد مطلوب، مناهج بلاغية 1973م)** وأبرز ما فيهما من عيوب وإغراب عن مسائل البلاغة وفنها، ونقل بعض عبرات القزويني عن الملكة والكيف والصدق والكذب والجامع والدلالات وغيرها كأمثلة تؤيد وجهة نظره، ثم قال: " لقد نقلنا هذا كله لنظهر خروجهم عن البلاغة، وإلا فما علاقة هذا الكلام بها، وكيف يستفيد منه الأديب في نقد الأدب وإظهار جماله؟<sup>(27)</sup> **(أحمد مطلوب، مناهج بلاغية )** وقال في موضع آخر: "وننتهي من هذا كله إلى أن النزعة الفلسفية والجدلية تسيطر على بلاغة القزويني، وهذا واضح في المنهج والتبويب وبين المعاني البلاغية واستخدام الأساليب والمصطلحات الكلامية والفلسفية، ومن هنا نرى أن لا فائدة من العكوف على بلاغة القزويني وشرح تلخيصه<sup>(28)</sup> **(أحمد مطلوب، مناهج بلاغية).**

وهكذا تحولت البلاغة من علم ذوق وجمال وأدب إلى علم جاف يعتمد على المنطق بأصوله ومناهجه الحادة مما جعل علم البلاغة قوانين تسبك في قوالب منطقية جافة.

وبمرور الزمن بالغ العرب في تتبع تلك القواعد النظرية، والجمود على القوانين الجاهزة وأهملوا التطبيق العملي، وإعمال الذوق اللساني البليغ وأصبح الدارسون يرددون شواهد معينة محفوظة لا يجيدون عنها، ولا يتميزون حتى في طريق تحليلها وقراءتها؛ يقول محمد أمين المؤدب: "والمتمأمل في مجال الشعر والعروض والنحو والبلاغة يدرك مظاهر ذلك الثبات دون كبير عناء، وتأسيساً على ذلك فإن البلاغيين -عبر تاريخ البلاغة- قد حددوا للبلاغة العربية موضوعها، ورسموا لها إطارها كما حددوا لها المادة التي يستند إليها الدرس البلاغي في مقدمتها الشاهد الشعري"<sup>(29)</sup> **(الشاهد البلاغي وإشكالية النموذج، 1421هـ مجلة جذور).**

فمدونة القواعد البلاغية وتعريفاتها وأمثلتها المدرسة، إنما تعود في صورتها التي هي عليها إلى عهود جفاف البلاغة وانحطاط الأدب وضمور النقد، يقول صلاح فضل " كانت هناك سمة عامة تلمسها في جميع الكتب البلاغية، في الشرق والغرب.. نادراً ما يلجأ البلاغي المتأخر إلى شعراء عصره كي يستمد منهم شواهد، أو يرقب في عملهم أي لون من التغيرات أو مظاهر التطور في المفاهيم"<sup>(30)</sup> **(صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص[د.ت])**، وبهذا انفصلت البلاغة عن النص واتجهت إلى تفضيل مسلك المبحث العقلي المنطقي التعليمي على الممارسة التحليلية.

من أجل ذلك قامت الدعوة إلى تجديد البلاغة أو العودة بها إلى عصر نضجها وازدهارها أو على الأقل تنقيتها مما شابها من أسلوب المناطق وطريقة الجدل العقيم الذي طغى على جمال البلاغة وما امتازت به أصلاً من

فخامة اللفظ ورقة المعنى وحلاوة الصياغة وجمال الصورة وقوة الخيال خاصة بعد أن تطورت لغتنا العربية، ولقيت علومها الغوية والشرعية الكثير من الاهتمام والعناية، فسأيرت ركب الحضارة و واكبت تقدم الزمن...إلا علم البلاغة الذي شذ عن القاعدة، وظل جامدا منذ القرن السادس الهجري حتى اليوم.

فالبلاغة لا غنى عنها لتذوق أدبنا، ومعرفة ما في لغتنا من جمال وسحر، ثم هي كذلك لا غنى عنها لمعرفة إعجاز القرآن الكريم، بل إن دراسة الإعجاز وإدراكه كان الهدف الأساسي الذي من أجله وضع علم البلاغة، يقول ابن خلدون: "واعلم أن ثمرة هذا الفن إنما هي فهم الإعجاز من القرآن"<sup>(31)</sup> (ابن خلدون، المقدمة، 1426هـ/2005م).

ولما كانت البلاغة بهذه المنزلة من علو القدر وعظم الشأن، وقد تعرضت في العصور الأخيرة لما تعرضت له من توقف وجمود، كان من المحتم أن يدعو بعض المهتمين بشؤون الأدب واللغة إلى تجديد علوم البلاغة في العصر الحديث.

وقد اتخذ موقفهم من التجديد ثلاث اتجاهات:

أ-بعضهم يرى الاعتماد على تراثنا في البلاغة وجعله أساسا للتجديد، وأن التجديد يجب أن يكون نابعا من روحنا ومجتمعنا وتكويننا وفطرتنا وذوقنا.

ب-وبعض آخر يرى أن الكتب القديمة التي تناولت البلاغة بمنهج السكاكي والخطيب يجب أن تلغى ويحل محلها كتب أخرى جديدة مؤلفة على منهج حديث، ومعنى ذلك أن التجديد عند هؤلاء أن نلقي بتراثنا البلاغي في بحر الظلمات، وأنه لا بد من وأد القديم ليظهر الجديد وينتعث.

ج- وبعض ثالث يرون مزج البلاغة العربية بأصول الدراسات البلاغية في شتى اللغات الحديثة الأوربية، وأنه من الخير الجمع بين ما يصلح من تراثنا وما يصلح من بلاغة الغرب، وأن التعايش بين القديم والحديث أفضل نتاجا وأقوى أثرا.

وهكذا بدأت بوادر التجديد واتجاهاته تتضح معالمها، وتبرز خطوطها ممهدة الطريق لدعوات التجديد

البلاغية وظهرت عدة كتب تناولت هذا الموضوع بجدية و حزم منها :

- مقدمة لدراسة بلاغة العرب:

كان من أوائل الذين دعوا إلى الاهتمام بالبلاغة وتجديدها الدكتور أحمد ضيف الذي أصدر كتابه:

(مقدمة لدراسة بلاغة العرب) وكان ذلك عام 1921.

وهذا الكتاب -فيما وجدنا- هو أو ظاهرة نظرية، تحدثت عن البلاغة وتعريفها بطريقة مغايرة لطريقة

القدماء، وقد يكون ما ورد في هذا الكتاب يمت بصلة إلى المدرسة الأدبية، ولكنه على أي حال كان أول ظاهرة للخروج على نظام وروح المدرسة السكاكية.

وفي هذا الكتاب يرى الدكتور ضيف أن البلاغة هي : ( كل قول الغرض منه قبل كل شي الاستيلاء

على نفس السامع أو القارئ بفصاحة العبارة وحسن التركيب وبراعة الكاتب أو الشاعر)<sup>(32)</sup>، (أحمد ضيف،



مقدمة لدراسة بلاغة العرب، 1961). أو بعبارة أخرى: "هي الكلام الفني الممتع" والكلام الفني يملأ نفس السامع وعواطفه في أي موضوع كان، وعلى أي معنى دل"<sup>(33)</sup> (أحمد ضيف، مقدمة لدراسة بلاغة العرب). ولعل الكاتب أراد بهذا التعريف للبلاغة أن يبعد عن التعريفات القديمة التقليدية، وما ترتب عليها من محترزات وشروح وتعليقات. ولئن كان هذا قصده فلقد أفلح إلى حد ما على الأقل.

ويفرق الكاتب بين البلاغة وعلومها.. فيقول: "على أن الفرق واضح بين البلاغة وعلوم البلاغة ويؤيد قولنا إنه يصح إطلاق البلاغة على ما نسميه أدب اللغة، وأن البلاغة فهي تحبير اللفظ وإتقانه ليلبغ المعنى قلب السامع أو القارئ بلا حجاب، ولينال الكاتب أو الشاعر من الأفئدة ما يريد، وهي المقصودة بقوله عليه السلام: "وإن من البيان لسحرا"، وأنها إبلاغ المتكلم حاجته بحسن إفهام السامع، ولذلك سميت بلاغة"<sup>(34)</sup>. (أحمد ضيف، مقدمة لدراسة بلاغة العرب).

ولا جديد في هذا فالفرق بين البلاغة وعلومها وارد في كتب السابقين، وكذلك هذا التعريف الذي ورد في آخر الفقرة السابقة.

ويوضح د. ضيف كلامه هذا بأن هناك نوعين من البلاغة: (البلاغة الوجدانية، والبلاغة الاجتماعية، "فالبلاغة إما أن تكون عبارة عما يجول في نفس الإنسان من عواطف وإحساسات وخيالات وغيرها مما يدل على شخصية الكاتب أو المتكلم فحسب. وإما أن تكون صورة غير صورة نفس الكاتب أو الشاعر. فالأولى هي البلاغة الوجدانية، والثانية هي البلاغة الاجتماعية"<sup>(35)</sup> (أحمد ضيف، مقدمة لدراسة بلاغة العرب، 1961).

وتقسيم البلاغة إلى وجدانية واجتماعية يعتبر رأيا جديدا، إذ لم نسمع بهذا التقسيم من قبل. هذا وقد فرق القدماء بين الشعر الوجداني والشعر الاجتماعي، فهذا التقسيم إذن بالنسبة للأدب شعرا ونثرا ليس جديدا، ولكنه بالنسبة للبلاغة جديد وغريب.

- البلاغة الواضحة:

ويعد كتاب الدكتور أحمد ضيف الذي أصدره سنة 1961 ظهر في مجال التأليف البلاغي في العصر الحديث كتاب "البلاغة الواضحة" سنة 1930. وقد قام بتأليفه الأستاذان: علي الجارم ومصطفى أمين، وهذا الكتاب كان أول ظاهرة عملية تطبيقية لدعوة التجديد البلاغي، وعلى الرغم من أن هذا الكتاب لم يتناول صلب علم البلاغة بشيء من التعديل الجوهرى قد أجاد العرض وأحسن اختيار الأمثلة وشرحها بأسلوب معاصر قريب إلى أفهام الدارسين وأكثر من الشواهد الأدبية الجيدة.

والمؤلفان لم يدعيا أنهما أتيا بمنهج جديد في علم البلاغة أو زادا شيئا ذا أهمية وإنما عرضا علم البلاغة بطريقة عملية جديدة تشجع على الإقبال والدرس قالا في المقدمة: "وأملنا أن يكون لعملنا هذا شأن في إحياء الأدب، وتوجيه أذهان المعلمين والطلاب إلى هذه الطريقة التي ابتكرناها في دراسة البلاغة، ولعلنا نكون

قد وفقنا إلى ما قصدنا إليه، والله خير المستعان<sup>(36)</sup> (على الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة: البيان، المعاني، البديع).

ومما يلفت الانتباه أن الكاتبتين لم يتحدثتا عن طريقتهما الجديدة في كتابهما الجديد، ولم يوقما بوضع نظرية مسهبة لها، وإنما قاما بوضعها موضع التنفيذ.

وفي كتاب "مناهج بلاغية" يستعرض المؤلف كتب البلاغة في العصر الحديث فيقول عن هذا الكتاب: "ومن أهم الكتب المتداولة "البلاغة الواضحة" للأستاذين علي الجارم ومصطفى أمين، وهذا الكتاب حلقة الانتقال بالبلاغة من طابعها القديم المعتمد على تقرير القواعد وحفظ القوالب إلى الاهتمام بالتحليل، وقد اتبع المؤلفان أسلوبا تربويا جديدا، يقوم على ذكر الأمثلة واستنباط القواعد وشرحها... ولعل أهم ما يمتاز به كتابهما البحث في الأسلوب، وهو بحث جديد في البلاغة التي لم تخرج على ما خطه السكاكي وقرره القزويني"<sup>(37)</sup> (أحمد مطلوب، مناهج بلاغية).

وقد شجع نجاح هذا الكتاب على صدور كتب أخرى مدرسية في البلاغة تدور حوله وتتبع طريقته مع تغيرات طفيفة ككتاب البلاغة الاصطلاحية لعبد العزيز قليفة، وكتاب الكافي في علوم البلاغة: المعاني، البيان، والبديع لعيسى علي العاكوب وسعد الشتيوي، وكتاب لآليء التبيان في المعاني والبديع والبيان، لحسين إسماعيل عبد الرزاق .

#### - فن القول :

أصدر الأستاذ الخولي كتابه "فن القول" سنة 1366هـ/1947م وهو خاص بالبلاغة و تجديدها ، و أمين الخولي هو رائد التجديد البلاغي في العصر الحديث رغم أن حماسه للقديم والتراث لم يكن يقل عن حماسه للتجديد والتطوير لذا استطاع أن يهضم القديم ويقدمه في صورة جديدة تتفق ومتطلبات العصر، قال: "طفقت أتعرف معالم الدراسة الفنية الحديثة بعامة ، والأدبي منها بخاصة ، وأرجع إلى كل ما يجدي في ذلك من عمل الغربيين وكتبهم ، وأوزان بينه وبين صنيع أسلافنا وأبناء عصرنا في هذا كله، وكانت نظرتي إلى القديم، تلك النظرة غير اليائسة ، دافعة إلى التأمل الناقد فيه، وإلى العناية بتاريخ هذه البلاغة ...مضيت في هذا الدرس المتأني أمس مسائل البلاغة مسا رفيقا جريئا معا، أقابل فيه القديم بالجديد، فأنقذ القديم وأنفي غثه، وأضم معينه إلى صالح الجديد وتلك الخطة لا تدوم في دراسة جامعية أساسها التجدد، وحياتها في نماء متصل ولذا قاربت أن أفرغ من النظر في القديم، بعد ما ضمنت خياره في الجديد، فألفت منهما نسقا كاملا، يرجى أن يكون دستور البلاغة في درسها"<sup>(38)</sup> (أمين الخولي، فن القول).

مما قال الخولي نفهم أن التجديد عنده انطلق من القديم وارتكز عليه ، وهذه هي الأصالة في التجديد، فالقديم تراث عزيز لا يجوز أبدا أن نهمله أن نستهيين به.

ففي كتاب "فن القول" وضع الأستاذ "أمين الخولي" عصارة خبرته وتجاربه في مجال البلاغة، وأوضح معالم التجديد التي توصل إليها، قال: "إن البلاغة ليست كما قال القدماء، وليست احترازا عن الخطأ، ولا تجنباً للتعقيد المعنوي، ولا إدراكا لوجوه التحسين، وإنما هي مادة من مواد النهوض الاجتماعي، تتصل

بمشاعر الأمة، وترضي كرامتها الشخصية، وتسائر حاجتها الفنية المتجددة<sup>(39)</sup> (أمين الخولي، فن القول)، وهذا التعريف يبدو جديداً يستحق النظر والتأمل.

و أول ما يلفت نظرنا في هذا الكتاب أن النصف الأول منه بل أكثر من النص عبارة عن تمهيد للدخول إلى المنهج البلاغي المقترح، و قد يتبادر إلى الذهن أن تمهيدا يستغرق أكثر من نصف الكتاب، و أكثر من مائة صفحة هو ضرب من الإطالة و التفريط إلا أنه يكون كذلك في الأحوال العادية، و لكنه في هذا الكتاب كان ضرورة ملحة، لأن هذا التمهيد هو مقدمات أساسية لدراسة المناهج القديمة و الحديثة و عوامل التأثير فيها، بحيث يصبح القارئ على دراية تامة بظروف تكوين كل منهج، وكيف أن منهج أي علم إنما يأتي صدى لظروف الحياة الاجتماعية، فهو يفرض نفسه فرضاً.

و تحدث الأستاذ الخولي في هذا الكتاب عن صورة مادة البلاغة عند القدماء و المحدثين، ثم أبحاثهم فيها، ثم منهجهم في بحثها، ثم غايتهم منها كما أشار إلى ضرورة تفقه المعلم في مادة البلاغة و ذلك لا يكون إلا عن رغبة صادقة منه للاستزادة<sup>40</sup> (ينظر أمين الخولي، فن القول).

و رأى أن المدرسين لهذه المادة هم وحدهم أصحاب الحق كله في وضع الكتب المدرسية، و من غير المصلحة أن يضع غيرهم شيئاً من هذه الكتب، لأن لهم بتجاربيهم الطويلة، و خبرتهم المزاولة لأحوال التلاميذ، ما يعينهم أفضل الإعانة على التأليف لهم.

كما رأى أنه يجب أن نقرب بين الفن و البلاغة لأن البلاغة عنده هي فن القول و دعى إلى إلغاء تقسيم البلاغة إلى العلوم الثلاث لأن من يقول الآن "علوم البلاغة" أو "العلوم البلاغية" أو نحو ذلك، يخطئ في طبيعة هذا الدرس، و في تحديده، خطأ يشوه صورة الفن، و يضيق دائرة بحثه، و هو ما لا يرضاه صاحب ذوق أدبي، يجد وقع ما يقول، و يشعر بروعة الفن الأدبي الجميل.

وقد سرد الأستاذ الخولي في آخر كتابه خطة مجملة ومفصلة لتصوره الذي استقر عليه في تجديد البلاغة، وهذه الصورة التي استقر عليها ليست هي الصورة الأخيرة للبلاغة أو فن القول - كما يقول - وإنما هي تخطيط لمحاولة يود أن تظل أبد الدهر - لو أمكن - رهن التغيير والتبديل والإضافة والتحسين ممن تهيأت لهم القدرة الصادقة على ذلك.

وفُتحت الأبواب أمام مجموعة من الباحثين أدلوا بدلوهم في ميدان تجديد البلاغة فهذا الدكتور أحمد مطلوب يرى أن البلاغة العربية كانت في القرن الماضي فنونا تحفظ وشروحا تدرس، وحينما أطل فجر النهضة الحديثة واتصل العرب بالغرب ورأوا ما عندهم من مناهج أدبية التفتوا إلى تراثهم يحيون فيه النفع ويأخذون عن الغرب ما فيه إنارة السبيل.

وفي كتاب اتجاهات البلاغة العربي أجمل الدكتور مطلوب رأيه في التخطيط العام للبلاغة العربية الجديدة وهو يتمثل في إلغاء التقسيم لعلوم البلاغة، واعتبار البلاغة فنا واحداً. وأن تتجاوز البلاغة مجال البحث

في الجملة والجمليتين إلى البحث في الفقرة والقطعة الأدبية والأساليب المختلفة وتستعين بما ذكره القدماء كعبد القاهر وابن الأثير في ذلك. أما مصطلحات البلاغة فينبغي تقليدها والاكتفاء بأهمها.

فالمجاز مثلا لا حاجة إلى تقسيمه إلى أنواع كثيرة، وإنما نكتفي بتقسيمه إلى لغوي وعقلي كما فعل الجرجاني، أو نعتبره لغويا كله كما فعل السكاكي ونكتفي في الاستعارة بمصطلحات قليلة ولتكن الاستعارة التصريحية والاستعارة المكنية ورد جميع الأنواع الأخرى إلى هذين النوعين.

كما يجب أن نهتم في بحث البلاغة بالناحية الأدبية وتخير الأمثلة والقطع الرائعة من القرآن الكريم وكلام العرب، كما نهتم بتحليل الأمثلة تحليلا أدبيا يعتمد على الإدراك والإحساس الفني. ويجب أن نبتعد ما أدخله القدماء في البلاغة من الفلسفة والأصول والمنطق وعلم الكلام مستعينين ببعض الدراسات النفسية وما لها من أثر في الفن الأدبي، ولكن لا إلى الحد الذي تتجاوز فيه البحث البلاغي فتطغى عليه كما طغى المنطق وعلم الكلام فأخرجها عن غايتها التي من أجلها بحثت. وبذلك نبعث في البلاغة العربية الروح من جديد لتكون صالحة لنقد الأدب، وإنشائه، وتكون ملائمة للفن الأدبي المتطور<sup>(41)</sup>. (ينظر: أحمد مطلوب، اتجاهات البلاغة العربية).

هذا رأي الدكتور مطلوب في تجديد البلاغة. وهو يصلح منهجا صغيرا للتجديد له اعتباره وقدره. ويرى د. طبانه: أن البلاغة" تشريع للأدب يضع قواعده ويحدد أصوله ويسم طريقه ومنهجه، وإذا كان الأدب تعبيراً ممتازاً فإن البلاغة هي التي توضح معالم هذا التعبير الممتاز وتبرز عناصره لينتفع بها الأدباء حتى يستطيعوا أن يحققوا هدفهم الذي يرمون إليه من إقناع العقول أو التأثير في لعواطف والقلوب....

ثم إن علم البلاغة هو "علم الأسلوب" ولا شك أن الأساليب تختلف من موضوع إلى موضوع كما تختلف من فن أدبي إلى فن أدبي آخر. وهذا الاختلاف يوجب علينا أن ندرس خصائص كل فن نوضحه ونحدد جوهره وغايته وموضوعه وشكله ونشرح ما ينبغي أن يتوافر في كل منها.

والموضع الطبيعي لهذه الدراسة هو البلاغة التي تستقي قواعدها من أعمال الأدباء ومن أعمال النقاد ثم تصفيها وتجعل منها دستوراً قابلاً للتجدد بتجدد العصور وتطور الأذواق، فلا يكون لهذا الدستور صفة الخلود إلا إذا خلدت المقاييس التي أثبتتها ووقف الأدباء في دائرتها لا يتجاوزونها وهيئات... فدخل مثل هذه الدراسات في البلاغة يتفق تماماً مع طبيعتها التي تضع أصول الفن الأدبي، وتلك الأصول هي الخلاصة العلمية المنظمة التي اهتمت إليها الأجيال بعد درس لجميع الظواهر الفنية في الأدب.

بهذا تستطيع البلاغة أن تتفاعل مع الأدب وتتفاعل مع النقد الأدبي كما تتفاعل مع اللغة والبيئة وألوان الثقافة وفنون المعرفة التي تتصل بالأدب وتؤثر في الأديب، وهذا التفاعل هو الذي سيهيئ للبلاغة سبيل التجديد وسبيل الحياة<sup>(42)</sup> (بدوي طبانه، البيان العربي، 1406هـ/1986م). و طبانه قد أجمل هذا المنهج في آخر كتابه: البيان العربي.

و يرى د. العماري، أن علم البلاغة أشد حاجة للبحث والدرس والتجديد من علمي اللغة والنحو. ذلك أن المتقدمين عنوا بالنحو واللغة أكثر مما عنوا بعلم البيان، ووجد المتأخرون مجال البحث فيهما ممهداً فأكثرنا

من التأليف في هذين العلمين، وبخاصة علم النحو، أما علوم البلاغة فسبيل البحث فيها وعر شأنك، وليس في استطاعة كل من تحدثه نفسه أن يقول في البيان قولاً، لأن هذه الناحية من الدرس لا تحتاج إلى التحصيل وحده، وإنما تعتمد إلى حد كبير على ذوق سليم وطبع مسعف.

وإذا كان لابد من دراسة البلاغة في دائرة علمية، فنحن في حاجة إلى من ينظر ويظلم النظر في هذه الكتب القديمة، ويعرضها لنا بأسلوب جديد، وبطريقة جديدة أقرب إلى روح الفن، وأعود بالفائدة على الراغبين<sup>(43)</sup> (علي العماري، قضايا بلاغية [د.ت.]). ويقول في موضع آخر:

"وعندنا أمران لا ثالث لهما: إما أن نضع ضوابط جديدة لهذه العلوم (علوم البلاغة)... وهذه الضوابط الجديدة - على الرغم من الصيحات المتتابعة - لم نضعها. وإما أن نصوغ هذه القواعد التي بين أيدينا صياغة جديدة، ونلتمس لها من كتب النقد والأدب شواهد جديدة. وحينئذ نكون قد قاربنا حقاً بن قواعد البلاغة وبين النقد الأدبي وصناعة الأدب<sup>(44)</sup> (علي العماري، قضايا بلاغية).

وفي موضع ثالث يقول أيضاً، بعد أن عرض عرضاً موجزاً للمذهبيين الأدبي والكلامي: "نريد أن نحدد مواضع أقدمنا من دراسة البلاغة.. وقبل أن نحدد الوضع الذي نريده نملح بشيء عن الطرق التي تسير عليها دراسة البلاغة عندنا. فالأزهر والمعاهد التي تحذو حذوه لا تزال كلها تدور في فلك السكاكي، تدرس التلخيص والإيضاح مشروحين على الطريقة القديمة، أو على الطريقة الحديثة، وإذا كان قد جد شيء في السنوات الأخيرة فإنما هو لفظة ضعيفة إلى كتب عبد القاهر....

ورجال وزارة التربية والتعليم نظروا في البلاغة الغربية فنقلوها إلينا جملة، فالطريقة من هناك والأمثلة من هنا، ولقد قرأ الكتاب الموسوم بالبلاغة والنقد المقرر على الفرقة الأخيرة من المرحلة الثانوية فلا نجد فيه أثراً لقاعدة من القواعد، ولقد جاء في كثير من التلاميذ وهم أشبه بالضالين في بيباء لا يعرفون منها مخرجاً"<sup>(45)</sup> (علي العماري، قضايا بلاغية).

وهكذا نجد الدكتور العماري قد رفع صوته أكثر من مرة موضحاً حاجة البلاغة إلى التجديد وشارحاً ظروفها وما صارت إليه في العصر الحديث، كما نجده في دعوته إلى التجديد من أنصار تجديد القديم وتطعيمه بالمناسب والصالح من الجديد. فالجديد عنده يجب أن يقوم على أساس من القديم، فمن لا قديم له لا جديد له. والقديم عنده لا يصلح أساساً للجديد إلا بعد تنقيته من طائفة كبيرة من التعريفات وعدد لا يكاد يحصى من التقسيمات واستبعاد مسائل الخلاف والجدل العقيم وغيره من آثار المدرسة الكلامية، فهذا القديم - كما يقول - يجب أن "يعرض بأسلوب جديد، وبطريقة جديدة أقرب إلى روح الفن، وأعود بالفائدة على الراغبين"<sup>(46)</sup>. (ا لعماري، قضايا بلاغية). وبعد ذلك نضيف إليه ما نشاء وما نراه صالحاً من الجديد. "فيا حبذا لو تقاربت البلاغتان، فكان منهما مزج طيب، يبقى على تراثنا، ويسير بنا في الطريق السوي، ويعطي الدارس ذوقاً وعلماً"<sup>(47)</sup> (العماري، قضايا بلاغية).

كثرت الدراسات البلاغية الحديثة وتنوعت الاجتهادات حتى وصل بعضهم إلى القول بأن البلاغة يجب أن تدرس بالاعتماد على الدرس اللساني الحديث، لأن اللسانيات في هذا القرن أحدثت "تغيراً جذرياً لكثير من أنماط التفكير اللغوي وكان أن تأثر الدرس البلاغي في الشرق والغرب بنتائجها ومناهجها وعرفت العقود الأخيرة - في الوطن العربي- اهتماماً خاصاً بالبلاغة ضمن الدراسات اللسانية مطلقاً أو الأسلوبية بوجه خاص<sup>(48)</sup> (الأزهر الزناد، دروس البلاغة العربية: نحو رؤية جديدة 1992).

وقد اعتمد الأستاذ الأزهر الزناد على اللسانيات في كتابه دروس البلاغة العربية: نحو رؤية جديدة، وعلل سبب ذلك بقوله: "وقد اتبعنا في تأليفه نهج الدرس البلاغي العربي القديم فحافظنا على أبواب العلم المعروفة في تبويبها وقواعدها الأساسية وإن كانت تقبل أن يعاد النظر فيها ولكننا طعمنا درس تلك المسائل - ما أمكن وحيث تراءى لنا وجه الإفادة - طعمناها بمعطيات الدرس اللساني الحديث، وحاولنا ما أمكن أن لا يكون ذلك إسقاطاً أو تعسفاً، وغايتنا من وراء ذلك إثارة تلك المسائل ببعض المبادئ اللسانية حتى تكون أوضح ويقف الدارس من المهتمين بالعربية أو غيرها على وجه الفائدة منها فيتمكن من ربط الظواهر التي اعتاد تحصيلها منفصلة متباعدة فينشأ عنده فهم أحسن لعلم الخطاب في مظاهره المختلفة النحوية والصرفية والبلاغية الأدبية. وهذا النهج ينبع من اعتقادنا في التكامل بين المستويات المختلفة في كل نص مهما كان نوعه والنص الأدبي بالخصوص، ولذلك سيجد القارئ مراوحة بين عرض القواعد التي يكتسب بها أسس العلم من جهة، وتحليل أمثلة تمكنه من الاهتداء إلى مواطن الظاهرة موضوع الدرس - من جهة أخرى- وتمكنه فوق ذلك من الربط بين تلك الظاهرة وبين الأدبية أو الجمالية في النص الأدبي<sup>(49)</sup> (الأزهر الزناد دروس البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة).

وحول الهدف من تطعيم دروس البلاغة بمعطيات الدرس اللساني الحديث يقول الأستاذ الأزهر الزناد: و"نروم فوق كل ذل تمكين الطالب من مهارة الربط بين الاثنين (البلاغة والنقد) فيحسن توظيف كل معلوماته في استخراج مواطن الجمال في النص، إذ النص كل لا يتجزأ تتضافر فيه جميع مكوناته دون استثناء للإيفاء بالمعنى<sup>(50)</sup> (الأزهر الزناد، دروس البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة).

وكثر حديث النقاد العرب في هذه الأيام عن البلاغة باسم "الصورة" باعتبار النقد البياني جزءاً من جمال الصورة لديهم، كما أن بعض المفسرين في العصر الحديث استخدموا اسم "الصورة البلاغية" في دراستهم، إذ يقول: "ذكرنا الأمثلة البلاغية على سبيل المثال لا الحصر، ليتذوق القارئ بعض روائع القرآن، وإلا فكلام الله معجز وفيه من الروائع البيانية والصور البلاغية ما يتذوقه الإنسان ويعجز عن وصفه اللسان<sup>(51)</sup>

(محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، 1399 هـ).

كما تمسك بعض الباحثين بالأسلوبية بمعناها اللغوي ودعوا إلى هجر البلاغة العربية الأخذ بالأسلوبية التي هي الوريث الشرعي للبلاغة كما يقول عبد السلام المسدي ومن شايعه من المبهورين الذي انتهوا إلى

تقسيم كتبهم الأسلوبية إلى مستويات ثلاثة هي : المستوى الصوتي، المستوى التركيبي، والمستوى الدلالي، وما هذا إلا التقسيم الثلاثي للبلاغة العربية.

ورأى الأستاذ سلامة موسى أن "حياتنا العصرية تختلف عن الحياة العربية قبل ألف سنة، فإذا كنا نسلم بأن فن البلاغة يجب أن يكون في خدمة هذه الحياة العصرية، فإنه يجب أن يتغير كي يخدمها، فلم يعد مجتمعنا في حاجة إلى البهارج والزخارف البديعية، نحطم رؤوس أبنائنا بتعلمها أو ممارستها، ولكننا في حاجة إلى أن نجعل البلاغة فنا للتفكير الحسن والسديد<sup>(52)</sup> (سلامة موسى، البلاغة العصرية واللغة العربية، 1963م).

لا يزال الباحثون والدارسون يجربون، ولا يزال بعضهم ينادي بالبلاغة الحديدية التي نادى بها الغربيون في الثلث الأخير من القرن العشرين، ولم تثمر تلك المناداة حتى اليوم بما يطمئن إليه درس البلاغي وتهش له النفوس لأن البلاغة إذا كانت منبعثة عن الذوق أو متأثرة به، فإن لكل أمة ذوقها المتصل بطبيعتها.

فمع ضرورة التسلح بدراسة البلاغة، والإطلاع الواسع على النصوص الأدبية الجميلة الراقية، ودراستها دراسة تحليلية تكشف من جوانب الجمال والإبداع فيها على مقدار استطاعة المحلل، لا يصح بحال من الأحوال الجمود عنها دون محاولات الابتكار والإبداع والتجديد، بشرط أن يكون ذلك الابتكار قادرا على انتزاع إعجاب ذوي الإحساس المرهف أو الذوق الرفيع في إدراك الكلام الأدبي الجميل البليغ<sup>(53)</sup> (عبد الرحمن حسن جبديك الميراني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، 1416هـ-1996م). فكل لغة تحتاج إلى شيء من الكلاسيكية، نعني بالنزعة التقليدية، حين يتصل الأديب بأسلافه من الأدباء، يتذوق مؤلفاتهم، وينغمس في أمانهم ومثلياتهم، ويقتني بذلك التراث الذهني السابق.

إن قضية تجديد البلاغة ظلت وما زالت شغل كل باحث في البلاغة العربية قصد تطويرها وتحبيبها لطلاب اللغة العربية كي لا تندثر مع الزمن، فهي العلم الذي ارتبط بإعجاز القرآن الكريم، لذا فالمحافظة عليها يقارب المحافظة على القرآن الكريم.

- (1) - في تاريخ البلاغة العربية ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط4 : ص 14.
- (2) - ينظر : البيان والتبيين ، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط7، 1418هـ/1998م: 104/1- 107.
- (3) - ينظر : البيان والتبيين : 88/1.
- (4) - ينظر: كتاب الحيوان ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، ط2، 1384هـ/1965م : 425-39-28-23-25-5.
- (5) - البلاغة تطور وتاريخ ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط7، 1965م: ص 56.
- (6) - ينظر : تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ، شرحه ونشره أحمد صقر:ص 103-298.
- (7) - مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن ابن خلدون ، دار ابن الهيثم ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1426هـ/2005م: ص490
- (8) -في تاريخ البلاغة العربية:ص40
- (9) - الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد ، عارضه بأصوله وعلّق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة ، دار النهضة ، مصر للطبع والنشر، ط1: 32/3- 163.
- (10) - المصدر نفسه : 290/2.
- (11) - ينظر دلائل الإعجاز في علم المعاني للإمام عبد القاهر الجرجاني ، صحح أصله علمتا المعقول والمنقول الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود التركي الشنقيطي ، علّق عليه محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان، ط3، 1422هـ/2001م: ص 209.
- (12) - علم البديع ، تصنيف عبد الله بن المعتز ، اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس أغناطيوس كراتشكو فستكي ، دار المسيرة، ط2، 1399هـ/1979م: ص 01.
- (13) - المدخل إلى دراسة البلاغة العربية ، السيد أحمد خليل ، دار النهضة العربية، بيروت ، 1968م: ص 15.
- (14) - ينظر: النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، حققها وعلق عليها محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر ، ط3، 1376هـ/1956م: ص 76.
- (15) - الصناعتين الكتابة والشعر ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، مطبعة محمود بك ، ط 1 ، 1320هـ : ص 01.
- (16) - المصدر نفسه ، ص 05.
- (17) - إعجاز القرآن ، القاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي ، علّق عليه وخرّج أحاديثه أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1421هـ/2001م:ص 55-81.
- (18) - المصدر نفسه:ص167-180.
- (19) - ينظر : سر الفصاحة لأبي محمد عبد الله بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، اعتنى به وخرّج شعره وعمل فهارسه داود غطاشة الشوابكة، ط 1 ، 1427هـ/2002م، دار الفكر:ص 234 – 266
- (20) - أسرار البلاغة في علم البيان ، الإمام عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمد الإسكندراني ومحمد مسعود ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط2، 1418هـ/1998م : ص 30.
- (21) - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، الإمام فخر الدين محمد بن عمرو بن الحسين الرازي ، عارضه وحققه نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر ، بيروت ، ط 1، 1424هـ/2004م : ص 24-25.
- (22) - ينظر : مقدمة الكشاف عن حقائق التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، شرحه وراجعه يوسف الحمادي ، مكتبة مصر للطباعة : 7/1-8.
- (23) - البلاغة تطور وتاريخ : ص 272 – 273.
- (24) - ينظر : منهج التعامل مع الشاهد البلاغي ، عويض بن حمودة العطوي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج18، العدد 30، 1425هـ : ص 501.



- (25) - ينظر : مقدمة القزويني لكتاب تلخيص المفتاح ، مطبعة الحلبي ، ط1، القاهرة، 1938م.
- (26) - ينظر : مناهج بلاغية، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات بالكويت، 1973م: ص 378-420.
- (27) - المرجع السابق: ص 404.
- (28) - المرجع السابق: ص 410.
- (29) - الشاهد البلاغي وإشكالية النموذج ، مجلة جذور تصدر عن النادي الأدبي الثقافي بجدة ، العدد 5، سنة 1421هـ
- ص: 393.
- (30) - بلاغة الخطاب وعلم النص ، صلاح فضل: ص 109.
- (31) - المقدمة لابن خلدون: ص489.
- (32) - مقدمة لدراسة بلاغة العرب ، أحمد ضيف ، مطبعة السفور ، القاهرة، ط1، 1961: ص27.
- (33) - المرجع نفسه: ص 27.
- (34) - المرجع نفسه : ص28.
- (35) - المرجع نفسه : ص 37-38.
- (36) - البلاغة الواضحة ، البيان ، المعاني ، البديع، علي الجارم ومصطفى أمين ، دار المعارف ، المقدمة.
- (37) - مناهج بلاغية ، أحمد مطلوب : ص355-366.
- (38) - فنّ القول ، أمين الخولي ، دار الفكر العربي، القاهرة: ص 09-10.
- (39) - فنّ القول: ص 25.
- (40) - ينظر فنّ القول: 23.
- (41) - ينظر اتجاهات البلاغة العربية، أحمد مطلوب: ص 25.
- (42) - البيان العربي ، بدوي طبانة ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1406هـ/1986م: ص 325-326.
- (43) - قضايا بلاغية ، علي العمري ، مخطوطة: 75-76.
- (44) - المرجع نفسه: ص 122.
- (45) - المرجع نفسه: ص 51.
- (46) - المرجع نفسه: ص 75.
- (47) - المرجع نفسه: ص 53.
- (48) - دروس البلاغة العربية : نحو رؤية جديدة ، الأزهر الزناد ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1،
- 1992: ص 09.
- (49) - المرجع نفسه: ص 05.
- (50) - المرجع نفسه: ص 06.
- (51) - صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني، دار القرآن، بيروت ، 1399هـ: 39/1.
- (52) - البلاغة العصرية واللغة العربية ، سلامة موسى ، مطبعة سلامة موسى للنشر والتوزيع ، ط1، 1963م: ص
- 106.
- (53) - البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، عبد الرحمن حسن حبنك الميراني، دار القلم، دمشق ، والدار الشامية، ط1،
- 1416هـ/1996م : ص 12/1.